أول أحزان اللافندر

دار الجندي للنشر والتوزيع
القدس
0097222340035
info@aljundi.biz
www.aljundi.biz
*

محمد أحمد موعد
"أول أحزٰن اللافندر"
(شعر. نصوص. تأملات)
*
الطبعة الأولى (2014)
جميع الحقوق محفوظة
*

الإخراج الداخلي
الريشة
*

(كل ما ورد في هذا الكتاب لا يعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر)

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.
All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

شعر. نصوص. تأملات

محمد أحمد موعد

أول أحزان اللافندر

دار الجندي للنشر والتوزيع

سأكتُبُ..

لِقطرةِ دمٍ نَزَّت من جسدِ إنسانٍ لا أعلم عرقهُ ودينهُ ولونهُ

سأكتُبُ..

لِمُخاط طفلٍ صومالِيّ يَركُضُ عارياً بينَ كُثبانِ الجوعِ والإملاق

سأكتُبُ..

لِفتاةٍ مُنِعت من استنشاقِ النَّظرات على شُرفةِ بيْتِها

سأكتُبُ..

لِأنينِ القَهرِ تَحتَ حَوافِرِ المُجتمع المُستَبد الظالمِ الهاتِك بِالتقاليد

سأكتُبُ..

لِزَهرةِ غارديانيا بيضاء نَبتت من كومَةِ رمادٍ وأحقاد

سأكتُبُ..

لِنقاء الماء في أعيُنِ البُسطاء

سأكتُبُ..

لِلكَبتِ لِلصَّمتِ لِلصبرِ للوقتِ للأمسِ للغدِ المُشرِقِ من ثغر الأملِ

سأكتُبُ..

لِمُدمِنِ مخَدرات يجمعُ بَقايا السَّجائِرِ عن أرصِفة العُمر

سأكتُبُ..

لِامرأةٍ أربعينية تطهو الأماني والأيام على موقِد الأحلام

سأكتُبُ..

لِلإنسانِ قبل الأديان

سأكتُبُ..

لِحُزنِ السنديان من جُرح الوُطن المسافرِ إلى نفسهِ في الغامض المجهولِ

سأكتُبُ..

هذا هو بَوحي وهذي ريشتي قلمي وسهمي عُمري واسمي

محمد أحمد موعد

سأكتُبُ..

علّقتُ كُلّي

علّقتُ كُلي عليكِ حُباً
ووَددتُ أن أتلاشى فيكِ سِراً
علّقتُ وردَ شبابي على عُرسِكِ الأخضر
مشيتُ مترنحاً على جِسرٍ من ضوء وأحلام
قبَلتُكِ حتى احمَرَّ خفرُ الوجودِ
سال رضابُ السماء عسلاً
أشتهيكِ وأنتِ في الأربعين
تفيضُ الأنثى منكِ، من نهديْكِ
ثغركُ باسمٌ وتمسكين الحياةَ بكلتا يديْكِ
أشتهيكِ وأنت في الثلاثين
تقتُلينَ باسْمِ الحُب

أشتهيك وأنت في العشرين

يتَجلى على جبينِكِ شغفُ الأيام

يركُضُ الزمانُ نحوكِ وأنت واقفةٌ

أمامَ مرآة الطفولة تتبرجين لنفسِكِ أولاً وكُلاً

أشتهيكِ قبلَ الولادة وبعد الولادة

أشتهي فيكِ التّمرُد والثورة

أشتهيكِ في كُلّ حالاتِكِ العصبية

أشتهيكِ شرقية

تنامُ الأرضُ في سماء عينيك العسلية

والليلُ يترقرقُ متموجاً على خِصلاتِ شعرك

كم أُريدُكِ دائماً وأبداً

كم انتظرتُكِ في نفسي

كم حضنتُكِ في خيالي

كم كَذّبتُني وصَدقتُك

كم لوعني الشوقُ/ النار

وكم بقيتُ على صراطِ هواكِ

كم عشقتُ فيكِ النثر والقافية

وقطفتُ عناقيدَ الحب ونمتُ تحتَ الدالية

ومشيتُ وركضتُ وتعبتُ ورقصتُ

وغنيتُ وحزنتُ وفرحتُ وضحكتُ

وكنت ميلادي في كل وقت

نكهة الراح في ثغري صورةً

أقتَبسُ عنها ولا أدرك سرها

أرجوحة صبايَ وقارورة العطر في دُرجي

سجانتي وأغلال الياسمين

وطني والأمل

يا من علّقتُ كُلي عليكِ حُباً

ووَددتُ أن أتلاشى فيكِ سِراً

من أنتِ بحق كُلّ هذهِ الكلمات؟

من أنتِ؟

حَدّثيني يا ماريا

هل يوجدُ هناكَ نتمناهُ من الدُّنيا؟!

أنا لم أعُد مني بعد، فهل أبكي؟!

وإذا بكيت على ضفافِ ليْلكِ الغجريّ

هل أُسعفُ لهفي المُتلاطم على قمم النزوح الأخير؟

حدّثيني يا ماريا

ولا تخجلي

كنتُ جالساً ذاتَ ضغينةٍ على رخامِ الجسد

وكان غريمي يموتُ من الحسد

لا أعلم لماذا الحسد يا ماريا

ولكنهُ يحتاجُ أن يحسُدَ الجميل فيَّ

ليُريح فجوةً سوداء سكنتهُ
وأنا أحتاجُ من يحسدُني
لأُريح فجوةً سوداء سكنتني أنا أيضاً

حدثيني يا ماريا
عن نفسك قليلاً
فأنا رجُلُ الكلامِ والأوهام
ولغةُ الجسد أصبحت رتيبة
أينَ مني نزق الشباب؟
وأين منكِ همسُ الظهيرة يا ماريا؟

حدثيني يا ماريا
كيف أمشي وقُدامي دمي وثعالب البشر
تقضُمُ حُلمَ الفقير؟

حدثيني يا ماريا

هل ماتَ ذاكَ الشخصُ في رواياتِ الأولين؟

وهل كانت النخوةُ فعلاً تسكُنُ الطين؟

حدثيني يا ماريا

ولا تخافي من جنون تناقُضي

فأنا أهذي بالواقع لا غير!

حدثيني يا ماريا

أرجوكِ تكلمي

لا تتركيني عالقاً بينَ صمتَيْن

صمتُ ضميري وصمتُ ثغرك!

حدثيني يا ماريا

فأنا لا أستطيع، أجل لا أستطيع

لا أستطيع الدفاع عن ما هو ملكي
لا أستطيع الفرح والحزن، أنا الواوُ بينَهُما

حدثيني يا ماريا
حدثيني عن شواطئنا
غُرباءَ على ملح الجروح مشينا
نتصفحُ السماء ونفتشُ عنّا فينا!

حدثيني يا ماريا
عن ألعابكِ الجميلة
عن الضفائر والجديلة
لقد سئمتُ ألعابي وغرائزي الذكرية!

حدثيني يا ماريا حدثيني!
ساهمةٌ في صمتها ماريا تقولُ كُلّ شيءٍ

ولا تقولُ شيئاً

تُحدقُ في الهواء جاحظة المعاني

إبهامُها واضح وواضِحُها مبهمٌ

لا نرجسٌ يُفَسّرُها

ولا أوركيدٌ يُغويها

ماريا جُرحُ المرايا

وحلم الطفولة بينَ أحجار البشر

ماريا أطلالُ المعبد

وغزالةٌ تقفزُ على غيومٍ من جليد

ماريا تصبو إلى شيءٍ ما لن يأتي

وكان الأمرُ شرقيّا

حدثيني يا ماريا...

على تلك الطاولة في ذاك المقهى بنينا أنا وهي حائطنا الظنين عبثاً..

كان طوبُ الكبرياء يُهرولُ من ثغري وكانَ طينُ الصّمت يَنزُّ من عينيها في آخِرِ اللقاء كان شاخِصاً بيننا وثقوبُهُ تُنادي أنامِلنا مددتُها بِكبرياء وهي أيضاً مدتها بصمت تعانقت أنامِلنا عبر ذاكَ الثُّقب نتحسس الماضي والتّشرذم العاطفي، الفراق، الذكريات، وصلت أنامِلنا حد النشوة اهتز الحائط ترنح من فَرطِ سذاجتِنا مالَ من شدةِ جهلِنا وقع على رأس حاضرنا بِتُّ أنا وطوبُ كبري وطينُ صمتها حُطاماً على رأس حاضرنا كُلّ شيءٍ تفكك وتَحطم عدا أناملنا ظلت مُتشابكةً فوق الحُطام تسمَعُ نشيجَ الفشل والكبرياء والصمت.

هذيانُ مطر .. أنا أسف

مَطَرٌ يُعربِدُ على الإسفَلت

صَقيعٌ بنهشُ جَوانِحَ الليل

رياحٌ تَئِنُ في بحرٍ هائج يُزَمجِرُ على شطآن الرجاء

أنا جالِسٌ بِقُرب المدفئة ارتعش برداً وضجراً

نوافذُ تَصْفُرُ من حولي!

برقٌ يضيءُ ناصية الأفق

ورعدٌ هادر يَقسمُ ملامحَ السماء

تَزدادُ الرعشة!!

اشتَد المطر كجلادٍ لئيمٍ يريدُ أن يفرغَ كبتَهُ وحِقدَهُ على ظهر أسير

تَلاهُ حباتُ بَرَدٍ لاسعة تَعزفُ لحنَ الصمت والعَجزِ على

"زينكو" الجيران وبعضُها يتغلغل في وحل الضمير الأبكم !!

دَوَت الرّجفةُ في صَدري

تَطايرت تِلكَ الخيمة من هاجسي وغَرزت هِراوتها في صلبي

شَهقتُ!! ثُم التَقَطت أنفاسي بِمنتهى الصعوبة

أطبَقتُ جفنيّ من شِدَّة الألم

رأيتُ بينَ طابقتِيهما طِفلاً يحدّقُ بي بمُنتهى الكُرهِ

نَهضتُ بسرعة!! تعثرتُ بأسلاكٍ كانت تحتي!!

تَهاوى جسدي على الأرض

وقَبلَ أن يُغمى عليّ هَذوتُ بِكلمتين: "أنا أسف.. أنا أسف"

وَعمَ الصَمتُ الأسودُ في المكان!

شُرودُ حُزيران

في انتظارِ شيءٍ لن يأتي!!

على حافة السُّور جَلسَ الملَلُ يُفَتّشُ فيَّ عن أشياءَ كُنتُ

أجهلها. نسائمُ صيفية حارَّة تَغوصُ بأروقةِ الجَسد تُحدِثُ

عَطباً في الخيال. قليلٌ من السطحية هذا ما أحتاجُ

لا أريدُ التَّعَمُّقَ

أُريدُ فقَط أن أُفكر في هذا الشيء الذي أشربه أو آكلهُ

لا أريدُ أحَلِّلَ حالتي النّفسية

لا أريدُ السفر في فكري وذاكرتي

أريدُ العَيشَ في هذهِ اللّحظة فقط

أريدُ أن أتأملَ شيئاً بصدق

أريدُ أن أنظُرَ إلى السماء وأغرق في زرقتِها لا في عتمة ذاتي

أُريدُ الإصغاء إلى أصواتِ الحيوانات والطيور لا إلى صُراخِ الجيران وشجارهم المستمر

أريدُ فقط لحظةً من النقاء الذاتي لا أستَمِعُ فيها لأناي ومُتطلباتها

أريدُ الاستمتاع بشرودِ حُزيران

بدأتُ أعُدّ الأشياء من حولي بسطحية تامة، وقبل أن أصِلَ إلى المئة تعبتُ

كُلُ شيءٍ حولي كانَ يَعُدُّني:

واحد..

واحد..

واحد ..

غروب

قالَت المُذيعة الخمسينيةُ بِمُنتَهى الثّقة:

"هُنا صَوت إسرائيل من أُورشَليم- القدس"!!

كانت الشمسُ تَغوصُ خَلفَ البيوت والشّفَقُ على أطراف الافُق يُدمي خاصِرة السماء

"نَبقى مع فاصلٍ من أغاني العصر الجميل، الأُغنية من ألحان رياض السنباطي وكلمات أحمد رامي وغِناء كَوكب الشَرق أم كلثوم نترككُم أعِزائي مع (غُلبت أصالح في روحي)"

كانت تَسري مع نَسائم الشّمال الخريفية رائحةُ أشجار الصّنوبر قادمةٌ من أحراش صَفورية الثكلى!!!

بَدأَ النّهواند يصدَحُ من مِذياعِنا القَديم

وأمي بدَأت تَطرَب كَعادتِها

وأنا غُلبت أصالح نَفسي على فِهم هذا التّناقض لم أستطع!!!

وكُنّا كما كُنّا

وكانت ثُكناتُ الصقيع تَلُمُّ نَفسها عن قارعةِ الضمير
وكانَ اللّيلُ/ الجليدُ تَثاؤُبَ القمرِ خلفَ أحزاب النفاق
وكانت النار حُبَّ البرق لضوءٍ ما سَكنَ الصوت
وكانت الرجفةُ شفاهَ أخي القريب الغريب على رُقعةِ البياض
وكُنتُ جالساً قُبيْل بُعيْد نفسي أُحللُ أسبابَ الرحيل
وكانَ الأمرُ فارغاً في خلدهِ/ الذئب
وكانت الشهوةُ مصيدةَ النفس في نقصها الأبديّ
وكانت الجبالُ تنثُرُ صَبرها على أصنام الريح
وكانَ السوطُ/ الخَرس طَعام أطفالنا اليتامى
وكان قريني يمشي في فرحٍ وفي مرحِ خلف سورِ الحظيرة
وكان الخَمرُ انسكابَ الحياةِ في حلقِ الروح الجاف

وكانَ هولاكو حسرة دجلة

وكانَ طيَفُ هتلر يسبَحُ في سماء تل أبيب

وكانَ زَحفُ الرومِ يحرقُ النخيلَ في فكر الصحراء ولا يزال

وكانَت التكنولوجيا سُماً زُعافاً يسري في جسد الجهالةِ المُعولم

وكانت القبليةُ جذر الطائفية في رحم الثرى

وكانَ الذهبُ نهاية قارون

وكانَت عصا موسى على شفةِ البحر نهاية فرعون

وكانَ التاريخُ يركُضُ في براري الله لا يحملُ همَّ نفسهِ

وكانَ الماضي فَرحَ الراوي في سَردِ البُطولة

وكُنا عندما كُنا لا وصفَ عندي للحاضر ولا تكهنٌ للآتي

وكُنّا عندما كُنّا وعندما كُنا كُنا وكُنا وكُنا وكُنّا...

أقنعة الواقع

كُنتُ ولا زلتُ ذاكَ الشاب الذي
كُلما تَحَدَّثَ لفتاةٍ جميلة رَآها مُتَسطحةً
على سَطح سطحيةِ سريرِ أحلامِهِ الصَّفراء!
مازلتُ لا أكبحهُ جناحَ شرقيّتي الضَّاري
العاري، السَّاري، الجاري فيّ
اقرأ بِسمِ شَظف الحياةِ والخُبز، اقرأ بوحَ الأُمِّي!!

***

رقصٌ في خيالٍ نَزِق، شهوةٌ بَعيدة
أحلامٌ سَرابيةُ التكوين، نَشوَةٌ في سَريرِ الوقت
أملٌ هَش، دَمجُ الفراغِ بسَذاجةٍ
التَرنُّحُ على حِبال اللّيلِ، الغيرةُ الحَمقاء

السّهَرُ، السُّهدُ، الأرَق، حبرٌ أسودُ يَندَلِق

يَصُبُّ في بياضِ الورق، حزنٌ وألم

موتٌ وحياة، هدوء، صَمتٌ، وسكينة

الغَد الغَد التَّسَكُعُ تَحتَ ظلالِ الضوء

البَحثُ عن فرصةٍ في الغَيْب

رُبما أجمل، رُبما أحلى، العيْشُ

في رُبَّما، التَّماهي، السّلبيّة

الهَمجية تَضعُ قناع اللبراليّة

خَلفٌ يمضي إلى الأمام

أمامٌ يمضي إلى الخَلف

شُدوخُ الذّكريات في الهَرَيع الأخير

عِبادةُ الذات في انبلاج الأثير

الرَّكضُ في المكانِ نفسِهِ

حالةٌ من الرِضا المؤقت

يَتبَعُها انكسارٌ عَميق

السُّقوطُ مِن أعلى

الارتِطامُ بالأسفَل

فُقدانُ الشَّهيّةِ المَعنويّة

الخربشة على جِدار النّفس

الانبِثاقُ مِن شرخٍ في الجِدارِ

التَّعري من الصِدق، ارتداءُ الرّياء

* * *

هُناكَ حَيثُ عالمي الثالث في الشَّرقِ المُدَّثِر

نَجلسُ على حافةِ الثُّقب الأسود

هو فَخرُ الماضي وتَفاؤلُ المُستَقبل

ونِسيانُ الحاضر

أرضٌ قاحلةٌ مَرمريس

تَئِنُّ فيها رياحُ الخذلان

ما زالَ الحُبُّ حُبّاً

وما زالَ الكُرهُ كُرهاً

وما زالَ الإنسانُ إنساناً

❊ ❊ ❊

يا ابنَ حُزني قُل هو الغياب

قُل هو الغياب إذ أتاكَ حديثُ الوطنِ

فيكَ يَمتطي غَيْهَبَ الغُربةِ

قُل هو الغياب

قُل هو الصَّمتُ إذ أتاكَ حديثُ العُروبةِ

على هَودَجٍ من فَراغ

قُل هو الصَّمت

قُل هو القَهرُ إذ أتاكَ حديثُ الصَّبرِ

بِحلةِ القناعةِ والرضا

قُل هو القَهر

قُل هو البُرتُقال إذ أتاكَ حديثُ الشَّمس

على طَبَقٍ من سماءٍ وأرض

قُل هو البرتُقال

قُل هو الفلسطينيُّ إذ أتاكَ أيُّ حديثٍ عن الألَمَ

قُل هو الفلسطينيّ

* * *

إذا رأيْتُ الدَّمَ يَنزُّ من تلفازي القديم

وأنا جالسٌ على وجَعِ الطائفيّة

أراهم يقتلون بعضَهم البَعض بسم الله

الذي لا يَعرفون وكُلُّ مذهبٍ يذهبُ

إلى نَفسهِ معصومَ الإنسان

صُراخُ أطفالٍ ونَحيبُ ثكالى

وبقايا جامعٍ وحُطامُ كنيسة

سأدَعُ الكَرى لِيَنالَ مني

سأدَّثر وأناااااااام

السّلامُ عليكُم يا أهلَ السُّبات

أنتُم النائمون ونَحنُ النائمون.

رَصيفُ أيار

مطرٌ على رَصيفِ أيار
ودموعٌ تصعَدُ سلالِمَ البرقِ نحوَ السما تَزْدَلِفُ
لحنُ المطر هو لحنُ الروحِ
إشارةٌ على مرمى السُّويداءِ تَعتكِفُ
صوفيٌّ أنا فَسَّرتهُ الريح وأُوقدت في سِرِّهِ الكُشُفُ
أنامُ ملءَ دُموعي
نفسي تبوحُ لنفسي وتَعترفُ
أنا ابنُ ذاكَ الطّينِ.. أنا الصّلصالُ والخَزَفُ
أنا رَجعُ الربابةِ الحزين.. أنا الزُّهدُ والتَّرفُ
خمسٌ وستونَ نكبةً بي ولازلتُ طفلاً على أعتابِ الأمَلِ أقِفُ

هذيانُ نثر

أنا خارجٌ من جنّتِكُم لا أريدُ لجُرحي أن يبرأ في حضرةِ صدقِكُم الهَش كَرهتُ حُبَّكُم منذُ فرحِ الغريب/ منذُ أن كُنتُ ولم أكن/ منذُ جئتُ ولم أذهب/ منذُ أن كابَرتُ ولم أكبُر/ منذُ أن مشَيتُ على كَبوةِ النفسِ/ مُنذُ أن تعلمتُ الإقلاعَ نحو الأُفق/ منذُ حنينِ الأرضِ لأقدامي/ مُنذُ عبَث الوقت/ مُنذُ ارتجالِ الوهم/ منذُ لعبةِ الموت/ منذُ قارورةِ الدم/ مُنذُ الذِّئاب الأصدقاء/ منذُ حميمةِ الألفة في الروح/ منذُ قيثارة الشجن العتيق/ منذُ ولاء العائلة/ منذُ الشرف الغريق/ منذُ الارتطامِ بجدارِ الواقع/ منذُ صمتِ اللحظة/ منذُ رياحِ الهزيمة/ منذُ الغرق الأخير/ منذُ سذاجةِ المُراهقة/ منذُ قصص الطفولة/ منذُ انتحاب الذكرى/ مُنذُ عمى

الشيخ/ منذُ نِصالِ الطائفة/ منذُ وجع الحُلم/ منذُ الخطيئة الأولى/ منذُ الظاهِرِ والباطِن/ منذُ علقم الجسد/ مُنذُ مياهِ القلب/ منذُ نزيفِ الياسمين/ منذُ اختناقِ البلح/ مُنذُ حريقِ الزعتر/ منذُ هذيانِ النثر/ منذُ عَطش الأسباب/ مُنذُ ليْلِ الضغينة/ مُنذُ حِضنِ الأفعى/ مُنذُ حَرس الغُبار/ مُنذُ حُفرةِ الرجعية/ مُنذُ فصولِ اليوم/ منذُ حُمى الوطن/ منذُ نافلةِ السجون/ منذُ هُنا/ منذُ أنا ومنذُ أنا ومنذُ أنا...

تَرُشّ الأَرُزّ

أخذت تَرُشُّ الأَرُزَّ على ضريح مَوتِها المُؤجَّلْ
تَرقُصُ بِكُلِّ ما أوتيَتْ من حُزنٍ وفرحْ
تُغنّي بأعلى بحَّتِها
يَنتَشي اللافندر في حقولِ عِطرها القمريّ
تَقبِضُ على الحِنَّاءِ والأمل في يَدها اليُسرى
عيناها اختَزلتا كُلَّ رخيصٍ ونَفيسْ
تَحدٍّ وخضوعٌ، فحشٌ وعفَّة
كَزنديقٍ يسيرُ بِروحِ قِدّيسْ
عبدٌ أتى من الجاهلية
عَبرَ فجواتِ شاماتِها الزمنيّة
ليقرعَ الرَّجوجَ حتى الصَّباحِ على مُنحَنى قَدِّها

تَرصُدُ النجماتِ وهيَ تنظُرُ لليلٍ ما سَكَنَ ثوبها

شَعرُها يَعزِفُ سيمفونية الشهوة والغرائز المُكدَّسة

على سفحِ رُمانتَيْن

هي نقيضةُ نفسها، هي الإزاحةُ والتحويلُ والانبثاقُ

من سريرةِ العبثْ

كُلما لامَسها القَدرُ تَماثلتْ لتكونَ أجمَلْ

وَأخذت تَرُشُّ الأَرُزَّ على ضريحِ موتِها المُؤجَّلْ

تَلَألَئي يا عُرسَ النّدى

أرسِلي مِن خِلال السّجَفِ كافوراً يُعَطِّرُ المدى
أنشِدي لحنَ الخُلود بينَ الشفَق القِرمُزيِّ
لِيُقَبلَ صَوتُكِ كاحِلَ الصَّدى
تَلألئي نَجمةً في سَحَرٍ غامت
تَرنو إلى الفَجرِ، تَبعَثُ فيهِ شُموخاً وقِدى
أشرِقي شَمسَ قَيظٍ في عِزِّ ضُحى
أحرقي يدَ اليَبابِ، تَوهَّجي في الدَّربِ نوراً وهُدى
تَرَبَّصي للأيامِ خَلفَ حِجابِ القدر
أمسكي سَيفَ الحياةِ واغرزيهِ في نَحرِ الرّدى
تَلألئي يا عُرسَ النَّدى

كيفَ أتاها؟

كَيْفَ أتاني ذاكَ الشُّعورُ؟ وكَيْفَ أتاها؟
هَل هو الموت؟ أم هي حياةٌ أحياها؟
تَندَلِعُ القصيدةُ في فكري بغتةً
وتَهُبُّ رياحٌ فتحملُني على جناحِ هواها
أمورُ في فلكِ الرؤى أتأرجَحُ على الكواكِبِ
أطحَنُ النّجومَ بِقَبضتي وأنثُرُ في الفراغ شذاها
إلى أيِّ مرسىً يا قَدَرُ تأخُذُني
وكُلُّ بِحارِ الدُّنيا تَصُبُّ طوعاً في عينيها
على قافِلةِ الأيامِ أمضي، وجهةُ أحلامي
وألفُ متراسِ ضغينةٍ يُعرقِلُ مَسراها
كَيفَ التّملُّصُ منها وهيَ على الجبينِ حَفرٌ

وعينُ الحاضر والمُستَقبلِ حتماً ستَراها

ما بيْنَ الأملِ والأملِ هُناكَ أملٌ

مهما طالت ليْلتي سيَبزُغُ بالصبرِ ضُحاها

غارقٌ في لحن ذاتي أستمعُ

لنَشيجِ صمتي والإبهامُ سيّدُ فَحواها

شَيعوا الأفراح وزَرعوا الحقدَ

ثمَ دَنا الزمانُ من العُروبةِ فَبَكاها

غارقةٌ في التَّشرّذُمِ والطائفية غارقةٌ في بحورِ دِماها

يشتهي الطِّفلُ بسمةً

ويَشتهي شيخُ الدِعارةِ رضاها

وجهةُ قِبلتهِ نحوَ غَربِها

افترشَ لها أرضَ الذُّلِ جباها

لتأتي على نفاقِها الدمويّ

وتَدوسَ خِزيَنا بقَدميها

زعقةُ الخرطوشِ لغةُ الحوار بيْننا

لا نَعي لبلادنا، الموتُ ينعاها

أنا وشعري بلونِ الماءِ

نَكتُبُ لها ويعكِسُ فينا ضوءُ سماها

نمشي على ورقِ الخريفِ بِتَأني وحيطة

لكيْ لا نُجفلَ طيور النور على أشجار سناها

ذاهبٌ لأنامَ على سرير الصور

لعلي أرَقبُ صوراً تطوفُ في مداها

أحب أوهامي وأعشقُ خيالي

أجتاحُ بياضَ أوراقي بأشياء أتمنّاها

ذاتَ ليلٍ جلستُ على أحاسيسِ القلب

وكَتبتُ لها قصيدة شوقٍ لَعلي ألقاها

بقيتُ في مكاني جالساً على كُرسيِّ القُنوطِ

أصغي لمَوتِها في عتمةِ الروح فتَصفعني ذِكراها

كَيفَ أتاني ذاكَ الشُعورُ؟ وكَيْفَ أتاها؟

هَل هو الموت؟ أم هي حياةٌ أحياها؟

المرأةُ الحياةُ

هُناكَ تَحتَ بُقعَةِ الضّوء في ذاتي جَلَستُ
عن كُلِّ أسراري أفصَحتُ
نَفسي تُعاتِبُ نفسي ماذا فَعَلتُ؟!
اتّكَأت المرأةُ الحياةُ على كَتِفي
هَمست في أذُني، تَفجرت الموسيقى طَرباً وانتَشَيْتُ
ثُمَّ مالت فَاحتوتني فَنَسيتُ من أينَ أتَيْتُ
حَملتُ عُمري بينَ راحَتيّ
كَالماءِ تحتَ أقدامِها اندَلقتُ
مَرَّتْ أنفاسُها بِمُحاذاةِ رقبتي دَنَت مني
سالَ الشَّبَقُ من شَفَةِ اللّيل فَتبَسَّمتُ
صَدَقتُها بشَهوةِ الرجالِ المُنبَثقة

حَلّقتُ في سَماءِ سذاجتي بأجنِحةِ السراب رفرفتُ
فلَما أحسَّت بوَهني وضعفي كَشفتْ عن غدرِها
وغَرزتْ أظافِرها الحادَّةَ في أضلُعي فشَهَقتُ
تألَّمتُ، صَرَختُ، تَرنَّحتُ،
بخيبةٍ وهزيمةٍ
إلى غَدرِ عيْنيها نَظرتُ
والجَوى فيَّ كأنَّهُ نَحتُ
حاوَلتُ الدِّفاعَ بِكِبرياءٍ هُلاميٍّ
عن آخرِ رمقٍ فتَعَثرتُ بأوهامي ووقَعتُ
على حُطامي في عَتمةِ التيه مَشَيْتُ
نَدَمٌ يَعصفُ في حنايا الروح القاحِلة
تَفَككتُ، تَجمعتُ، تَجمدتُ، تَبخرتُ
جَمعتُ بضعَ كَلماتٍ بتَلَعثمٍ وقُلتُ:
غَررتِ بي وصَدّقتُكِ
كَم كُنتُ غبياً، كَم كُنتُ

ضَحِكَتْ وقالت: وستبقى غبياً

وستَقَعُ في حفرةِ ذاتِكَ إذا شئتُ

ومَضَتْ إلى حَيثُ لا أدري

وأنا إلى نفسي مَضيْتُ

أجهَشتُ، بكَيْتُ

في جدارِ الوقت ارتَطمتُ

إلى نقطةِ البدايةِ رجعتُ

هُناكَ تَحتَ بُقعَةِ الضّوء في ذاتي جَلَستُ.

عَيْنان

عَيْنانِ ساهمتانِ في الخجلْ
تقتبسانِ الأثيرَ وتطيران على وجلْ
تَقضُمانِ الأفق بحياءٍ
وتفترشانِ الأرضَ أملاً
تتجلّيانِ في الفلكْ
إذا اقتربَ مِنهُما نورٌ هَلكْ
يَسبَحُ الصّنوبر بِهما
ويُسلمُ الأزرقَ طريدةً لهُما
تنسابانِ من الشمسِ
وتَحُطانِ على قمةِ جَبَلْ
عيْنانِ ساهمتانِ في الخجلْ

تقتَبسانِ الأثير وتَطيرانِ على وَجَلْ

عيْنانِ تُكذّبانِ نقاءَ الماءْ

تَنقُشانِ في الضوءِ أسرار البريقْ

تَستَنشقانِ الليّل نجمةً نجمة

تُمطرانِ الأرضَ قُبلْ

عيْنانِ ساهمتانِ في الخَجلْ

تقتبسانِ الأثير وتطيرانِ على وجلْ

طقوسُ رَقصٍ

حلقاتُ أنغامٍ
تطوفُ حولَ خَصرِها
تُمارسُ طقوسَ الرقصِ
على مُنحَنى قَدِّها
خجلٌ وثورةٌ تَرَقرَقا
من نَبضِ عِطرِها
إيقاعُ الوقتِ يعزِفُ لحنَهُ الأبديّ
في تمَوجِ العَسجد على شَعرِها
تقتُلنا وتُحيينا
بِسِهامِ البرق الأزرق المُذاب في لحظِها
تَتَلوى السماءُ في الأعالي

تَغبِطُ الأرضَ من تَحتِها

فجوةٌ زَمنيةٌ تأخُذني إلى زمانِ الورد

تُحدِثُها إذا التفَّت حولَ نَفسِها

تَتبَسمُ فتكشف عن إكسير الحياةِ

المُقيمِ في ثغرها

هناكَ حيثُ أشجارِ الزّبرجد

على ضفافِ أسرارِ عيْنِها

جلستُ أُفتّشُ عن ذاتي

وأكتُبُ شعراً من وحْيِ رقصِها

ماضٍ سَحيقٌ يُطِلّ
مِن نافِذَةِ الذّكريات

على ذاكَ المَقعَد في الحديقة العامة جَلستُ أُحَدِّقُ في عُيون الغيْب كانت زُهورُ اللّوتس نائمةً على سطح البركة. أسماكٌ مُلوّنةٌ تتنَفّسُ العطور الذائِبة في مَسام الماء. يَراعٌ أخضرُ حولَ البركة قيل إنهُ يجلِبُ الحظ. عُشبٌ أخضر وأولادٌ يَركُضون نحوَ نقاءِ أعمارهم اليانعة. بقيْتُ على هذا الوضع إلى أن هبطَ الليّل واتّكأ على عصا حُلمي. انقَشعت بعض السّحُب التي كانت تَحجُبُ النور. رأيتُ وجهَ

محمود درويش كانَ يُغني انتَظرها.. وانتظرها.

زَعَقَ ذاكَ التّحنانُ في بَدني،. أفزَعَ طيور الحاضر فَطارت إليها..

عادت الطُّيورُ وحَطَّت على شجرةٍ من الشوقِ القديم.

نَهضتُ عن مقعدي. رَكضتُ نحوَ الشجرة. هززتُها وأنا أُرددُ عبارةً من الكبرياء

الهَش: "عذراً محمود درويش أنا لن أنتظرها"..

إلى أن ألقى التّعَبُ أثقالهُ على ساعِديَّ دونَ جدوى

ارتميتُ تحتَ ظلِّ الشجرة مُستسلماً

هبطت الطُّيورُ من أعلى الشجرة وحطت على جسدي المُرهق

أخذت تنقُرُني إلى أن نَزَّت الذكرياتُ مني...

كلاّ سَأنتظرها.. سأنتظرها.. أُحبُّكَ محمود درويش!!

نهجُ اللانداي

اكسرْ هاجسكَ الظّنيَن وتعال

إلى عِطري

لقد خبأتُ لك حقولَ نرجسٍ

تفتحت لكَ وحدكَ في صدري

أُقطُفها واقطُف سنيني وعُمري

إذا لم تَجهَر بعِشقِكَ أمامَ القبيلةِ

سأموتُ في سرِّي

❊ ❊ ❊

تعالَ والتَفّ حولَ جيدي

واغرُز دبوسَ عِشقِكَ في وريدي

أنا كُلّي لك ناري وجليدي

قديمي وجديدي

حُزني وفَرحي

بهجتي وعيدي

إذاً تعالَ والتَفّ حولَ جيدي

* * *

تعال نمضي إلى البراري

نتبادَلُ القُبَلَ والمَوتَ

تحتَ جُنحِ النهارِ

* * *

طائِراتٌ تقضُمُ الأُفقَ وتنهشُ

وأنا في رُكنِ البيتِ أجهَشُ

عنكَ وعن نفسي بينَ حُطام

الحياةِ أفتّشُ

* * *

اقتربْ يا أنت ألم تسأم من النظرات

أرى شهوتَكَ في عينيكَ

تَكادُ تقفزُ كأنها الجمرات

اقتربْ وفَجِّر في جسدي

كُل الحسَرات

مُرْ بأنفاسِكَ ودعها تُقبّلُ كُلَّ الشّامات

* * *

أنا امراةُ البشتون جئتُ من قبائِل العذابْ

أنا نشيد الصمت يعزِفُ ذاتهُ في الضبابْ

أنا ابنةُ الأسى وأُختُ السرابْ

أنا التي تبخر من ملمحي الشبابْ

أنا وجَعُ الخيال

وأنا أنينُ الحياةِ تحتَ النّقابْ

* * *

ليلٌ قبيحٌ يُطلُّ من النَّوافِذِ

وذاكَ العجوزُ (الزوج) نائِمٌ

شخيرهُ يهُزُ الستائر وأنا
أحدقُ في الظلام وأُقاومُ

***

سأغزلُ من وجعِ الحاضرِ سُكرا
سأقولُ الشعر حتى لو صارَ الدَّمُ أنهُرا
احرقوني إن شئتُم وانثُروا رمادي في مهب الذُّرى
سأحضنُ الأثير وأُقَبّلُ الثّرى
وسأنبُتُ عُشباً أخضرا

***

لا يزالُ خيطُ الأمَلِ من بينِ جبالِ (كابول) يسطَعُ
لا تزالُ النجومُ في سماء (قندهار) تلمَعُ
نجمةٌ أنا على خيطِ الأمَلِ تتأرجحُ
تُقبِلُ على الأيام تارةً وتارةً إلى جُبِّ واقعها ترجِعُ

****

دموعٌ على جُدرانِ المعبدِ تنسَكِبُ

أحلامٌ قد طواها الهَمُّ والتّعَبُ
سَماءٌ تسقُطُ من عينِها الشُّهُبُ
إذا كان الحُبُّ في بوحِكَ صفحةً
فالحُبُّ في سري كُتُبُ.

أبو صالح

في شارع الحياة المُزدَحِمِ بالأقدارْ
انكَسَرَ أبو صالح خافضاً طَرفَهُ
موارٍ عُمرَهُ عَن الأنظارْ
على اليَمينِ بيوتُ طينٍ مزَغّبةٌ بالذكريات
أنسَتهُ الأمامَ والوراءَ واليسارْ
يُهَمهِمُ حصانُ الشبابِ فيهِ
يَشُدُّ بقايا عَزمِهِ قافزاً عن الأسوارْ
رافعاً لرايات الحنينِ
مُنحدِراً عن سفحِ سنينِهِ الخِضارْ
أنّتُ اليرغولِ هي الطفولةُ المُنصرمةُ
مُنذُ أكثرَ من سبعينَ جُرحاً وقَرنَيْنْ

قرنُ ليل وقَرنُ نهارْ

هُناك

في شارع الحياةِ المُزدحمِ بالأقدارْ

انكَسَرَ أبو صالح خافضاً طَرفَهُ

موارٍ عُمرَهُ عَن الأنظارْ

هو رجُلٌ طاعنٌ بالصفاءِ صالحْ

يَدعونهُ أبا صالح نقيٌّ كسلسبيلِ

حادُّ النَّظر كالطير الجارحْ

تُنشِدُ الأصالةُ لحنَهُ العَربيّ

هو المَوتورُ من قانونٍ شرقيّ

أبو صالح يَكتُبُ التاريخ والموسيقى بنعلهِ

وهو لا يَفكُّ الخطَّ أُميٌّ

هبّت رياحٌ حملت أبا صالح

إلى وجع الحقيقة

يلتحفُ معطفهُ المُخضبَ بالأسى

والوهنُ باتَ في عَينَيه فاضحْ

ضبابٌ يجتاحُ مقلتيه

الألوانُ تشابكت الفاتِحُ غامق

الغامِقُ فاتِحْ

الإبهامُ سَيدُ الرُّؤى

وطُيورُ الرماد عششت في نبع أحلامِهِ الشحيحْ

منذُ قديمِ الذكريات يُناجي قنوطهُ

القنوطُ فيهِ جامِحْ

كُلُّ شيءٍ هُنا يعرفُ أبا صالح

حمامٌ يَحُطُّ على كَتف الحاضر

ينشُلُ أبا صالح من أسودهِ

الحَمامُ يُلقي السلامَ عليه:

سلامٌ عليكَ من رأسكَ لأخمص قدميكَ

سلامٌ على والديكَ اللذينَ ماتا قبل أن تشتدَّ ساعداكَ

سلامٌ على نور وجنتيكَ سلامٌ عليكَ

سلامٌ عليكَ...

صنوبرةٌ ترنو إليه تَعُجُّ بالحفيفِ

وتَبعَثُ في النسيمِ صوتاً يهمسُ في أُذنيهْ

أتذكُرُ صِبانا، عِشقنا وهَوانا

أتذكرُ الربيع والعُشبَ الأخضر فينا

أتذكُرُ شقائقَ النعمان أتذكُرُ الأقحوانْ

أتَذكُرُ الصفاء والصدقَ في الإنسانْ

والسّهر تحتَ ظلال الأماني في ليلِ نيسانْ

نَعماتٌ تفطِرُ قلبَ الحقيقة

يُرنمها أبو صالح ويشُقُّ من بين غُبارِ الغياب طريقه

(هالأسمر اللون هالأسمراني

تعبان يا قلب خيوه هواك رماني

يابو عيون وساع

حطيت بقلبي وجاع

بعطيك سبع رباع خيوه

من عين رسمالي)

شمسٌ أشرقت من ثغر أبي صالح

تَدلى الأمَلُ / وها هو القمَرُ

تَرقرقَ الحُلُمُ / تشابكت أيدي العُشاق

سالَ الشَّبَقُ / تَفجرَ العِطرُ

تَبسّمَ الوجودُ / انتشى الفَرحُ

رقَصَ الجنونُ / تَلوى السكونُ في فضاءٍ سارحْ

كُلُّ شيءٍ هُنا يَعرِفُ أبا صالحْ.

النّكبة

أبي لماذا لا تحتفل بيوم ميلادك مثلنا؟

سألَ الطِّفلُ أباه. أجابهُ الأبْ

وكَأنّهُ يَغرفُ الكَلمات بمِصفاةِ الذكريات

من قاع جُبْ

هو لا يستسيغُ طعمَ الجروح

لكنّ سؤالَ ولدِهِ رماهُ إلى أيكةِ شوكٍ نبتت في القَلبْ

تَنَفسَ الصُّعداء وابتَلعَ من الهواء كُتلةً سوداء

طَفا الأسى على ملامِحِهِ كَأنهُ الزَّيت يطفو على ماء

النّكبة يا بُنيّ النّكبة!!

وما هي النَّكبَة؟

النَّكبة..

هيَ قِصةُ حُبٍّ خالدة بينَ أقدامنا والتُّربَة

خيولٌ راكِضاتٌ في فلواء الغِيابْ

جِراحاتٌ تَئِنُّ في جَوف السرابْ

أرجلٌ حافيةٌ تَخوضُ في التُّرابْ

تَسيرُ واهنةً إلى سفح الضبابْ

أرضٌ تُمسكُ بأقدام النازحينْ

وصوتُ رصاصٍ يفتَحُ في الأفقِ فجوةً

لتَمُرَّ السّنينْ!!

مفاتيحٌ في الجيوب تروي قصصاً

عن الرجوع القريبْ

وحُدودٌ تَقذفُ وتَجيبْ

تَقذفُنا إلى ما شاء القدرْ

وتَجيبُ قذارةً بهيئةِ بَشَرْ

في ليلةٍ عَربدَ صقيعُ الخيبةِ

في ضُلوعِ الشَّجرْ

وجهَ جدِّكَ لحيَتهُ الحليبيّةَ

نحوَ السما فَخَدَشَ وقارَها حياء القمرْ

كانَ حضنهُ يلفُني كَتِلكَ الغيمات

التي لفَّت سوادَ الليل في ساعة السَّحَرْ

بَعدَ أن كَسا سَجى الرهبة قلوبَ البَشَرْ

دَوت صفاراتُ المَوت والخوف كَزَخّ المَطرْ

بيوتنا تقيَّأت أمانينا

ويَبابٌ على ضريح ماضينا

يُضاجِعُ مُرّ مآسينا

دمٌ اختَلط بدموع مآقينا

خذلانٌ من حَولنا ينهَشُ فينا

طَلَلٌ ونُواحْ

سربُ فراشٍ مشتعلٌ

يصعَدُ درجاً من الرِّياحْ

يَلثُمُ جبهةَ السماء

يُعانِقُ الغمامَ والأرواحْ

نَرتاعُ لا نرتاحْ

وقَتلُ من سرق في هذا اليوم مُباحْ

ريشةٌ تنسابُ على قَدّ السُّكونْ

والصمت يَذرفُ على القُبورِ دمعاً هتونْ

شوقٌ أذابهُ القَهرُ على مُقلِ العيونْ

تَهُبُّ ميرميةٌ ويَعصفُ نعناعٌ في حنايا الضُّلوعِ

والقلبُ يصبو لحبةِ زيتونْ

يا قَهر من سلطَكَ عَليّ

ومَن سَمّاكَ ومن تَكونْ!

مَن تَكونْ!

أُجهضت الأحلامْ

تَشتتنا، تشرذمنا، تقسمنا

وعِشنا في حظيرةِ الخذلانِ كما الأنعامْ

إذا أنصفَتنا العُربُ يا بُنَيَّ أنصفتنا الأصنامْ

وضاعَ يومُ مولدي يا بُنيَّ في ذاكَ العامْ

ألفينا حَقنا في أيدي الخصيانِ لُعبَة

هذي هِيَ النّكبَة يا بُنيَّ هذي هي النكبة!

تَناقُضاتي والرّجوع

ماتَ الرجوعُ في المنفى كانَ يحلمُ بِطلّة
نَزَفَ الأسى حتى غيابَ العُمر فيهِ تألّه
أحبها حُرةً مُحتَلّة
أحبها شِفاءً وعِلّة
أحبها صعبةً وسَهلة
أحبها عقيدةً ومِلَّة
أحبها شَكاً ويَقينَا
أحبها دُنياً ودينَا
الحُبُّ فيكَ يا أيها الرجوعُ الهَشّ
والعارُ فينا
نَمضي عكسَ اتجاهِكِ يا قُدسُ

نَمضي يساراً إذ رأيناكِ يَمينَا

ونُغلقُ آذانَنا خشيَةَ

أن نَسمَعَكِ تَستَغيثينَا

نُحِبُّكِ بِصمتِ المَرايا

نُحِبُّكِ بِضعفِ العاجِزينَا

أيُّ حبيبٍ أرعنٍ قَميءٍ

يرى حبيبتهُ تُغتصبُ أمامَ ناظريهِ ولا يَهُزُّ السّكينَة

تَعالي يا معجِزاتُ ووحدينَا

من أرصفَةِ التَّشَرذُمِ لمليناَ

من قبورِ النَّخوةِ والشَّرف ابعَثينَا

مُري على الدِيارِ حرريها وحررينَا

فلا زلنا بِقُيودِ أنفُسِنا مُكَبَّلينَا

نُوَلوِلُ على ماضينَا

نَرفعُ السَّلامَ لغازينَا

لِذُّلٍ راضخينَا

نبيعُ مَواردَنا لهُ ونحنُ مبتَسمونَا

يأمُرُنا فنُنَفِّذُ رِضاكَ سَيدي

ما شيتَ شينا

إذا قلنا نُحبُّكِ كَذبنا

لا حُبَّ لساكِتينا

كُلُّ الشّعاراتِ من حولِكِ نِفاقٌ

والكَذِبُ قَرينٌ

حجرٌ بيدِ طفلٍ لا يفهَمُ من الحياةِ شيئاً

أشرفُ من عمائِمِ المُلتَحينَا

لن تَتَحرري إلا إذا تحرر

ذاكَ الإنسانُ فينَا

لن تَتَحرري إلا إذا كَسَرَ المَظلومُ

قَيْدَ الظالمينَا

لن تتحَرري إلا إذا توَّحدنا

وخَرجنا مِن جُبِّ صَمتِنا ثائِرينَا

على جِيادِ العَزيمَةِ والإقدام مُدبِرينَا

رِماحُ الحَّقِ رواعِفٌ بأيدينَا

نَقطَعُ يدَ الطاغوتِ

ونَحضنُ ثراكِ يا قُدسُ سنينَا

أيقِظْن يا واقِعُ من صدى حُلمي

لقَد عِفْتُ الحُلمَ والحالِمِينَا

أنا وشِعري مُتَقَلبان

نَفرحُ حيناً ونبكي على الأطلالِ حينَا

نَنهَلُ من قَلبٍ صادقٍ

نَرسُمُ ما تُبصِرُ مآقينَا

نرسُمُ شعاعَ الأملِ

بِبَراءةِ المُنتَمينَا

نَرسُمُ وجع الحاضِر على نَسائِم لَيلٍ

تحمِلُ بينَ العُشاقِ حنينَا

نَزرعُ على دربِ الهَوى

فلاً وياسمينا

إذا سَها الآتي عنا

فاحت روائِحُ ماضينَا

تَقتُلنا وتُحيينَا

تُذكِّرُنا أننا غُرباءُ في أراضينَا

على صِراطِ الأيامِ سَنَأتيكِ فلسطينُ راجلينَا

لا شيء في الوجودِ سواكِ يرضينَا

سيأتي يومٌ لا كَهذا الضعيفِ أعدُك

يُبعَثُ فيهِ الرجوعُ من رمادِهِ

يحمِلُنا إليكِ على جناح الغيم طائِرينَا

نَمسحُ الحُزنَ عن جبينكِ الوضَّاح

نحضُنُكِ وتَحضُنينَا

نُقَبلُكِ وتُقبلينا

أنهيتُ بالأمَلِ وسأبقى على أمَلِ الأمل خميرةُ أمانينَا

طفلٌ يبحثُ

طِفلٌ يُلَوِّحُ بِوردة
يَركُضُ خلفَ الجُدرانِ
بثيابهِ الرَّثة
يَبحثُ عنها في شدوخ
اللاشيء
يَتمارى بأحلامِهِ تارةً
ويُمعنُ النَّظرَ بغيابِها تارةً أُخرى
كانَ يمشي على الماء وعلى الجمرْ
كانت خُطاهُ تتغلغلُ في الريح
ثمَ يَطويها ليلٌ طويلُ الأمدْ
وينشُرها الفَجرْ

ما زالَ يَبحثُ عَنها

ويُقسمُ بثَراها

تقتُلهُ فيُحِبها أكثرْ

يَترَعُ مُرها

ويَحسبهُ سُكّرْ

يفَتِشُ دونَ مللٍ أو كَلَلْ

يَطلُبُ منها دفأً فتقولُ لا

تَطلُبُ عُمرهُ فيقولُ أجلْ

يَغوصُ في اللاوعيِ

على أملِ أن يراها

يوقِظهُ يُتمهُ في وحشةِ ذُراها

هيَ وَطنُهُ، هي أمّهُ، هي الوحدة

طفلٌ يُلّوحُ بوردة.

أرقٌ وبقايا صور

بَعدَ نَهارٍ وانصهار رَجاءٍ وانتظار

كَسرٌ وجبرٌ صعودٌ وانحدار

يَحُطُّ الرأسُ على كُتلةِ قُماشٍ مَحشوةٌ بالذِّكريات!

وما بينَ تَمَلْمُلٍ وغَفوةٍ قِصَةُ حبٍّ قديمة

وما بينَ التّلحُفِ والتّقَلُّب انكِسارٌ وآهاتٌ دَفينة

عَبَراتٌ تجتاحُ السّرير

أسمَعُ صُراخَ طفلٍ صغير!

أخطاءُ الماضي تَصفَعُ الضمير.. رياءٌ وكَذبٌ وجرحٌ مرير

قطَطٌ تموءُ في العَراء.. شهابٌ أسودُ يسقُطُ من عَينِ السَماء

بقايا صور وأسماء..

عرقٌ ينسابُ من الجبينِ يَصُبُّ في العُنُقْ

أرَقٌ..

أرَقٌ..

أرَقْ

بعدَ صِراعٍ طويل.. يتَسلّلُ إلى الجُفونِ خيطُ نُعاسٍ نحيل

يتَغلغل الجَسَدُ في مستَنقع الكَوابيس

كَنيسةٌ مهجورةٌ على سفحِ تَلّ ورياحٌ تُؤرجِحُ النّواقيس

ظَلامٌ ونَعيقُ غِربان.. عيونٌ تُحدِّقُ وتَتَربص ورائحةُ غدرٍ

تَنفَجِرُ

في المَكان.. موجاتٌ فوقَ سمعيةٍ تَطِنُّ في أُذُني

أصرُخُ بما أوتيتُ من صوتٍ فلا أحدَ يسمَعُني

أحَرِّكُ يديَّ في جميع الاتجاهات برودةٌ تندَلقُ على وجهي

وضوءٌ يتَوهجُ يَكسي الظلام حُلَةً من نور

أشهَقُ!!

كنتُ ما أزالُ ممدداً على سَريري وزجاجةُ الماءِ مَسكوبةً عليَّ

وعلى فراشي. دَلَفتُ نحوَ النافذة. كانت خيوطُ الذَّهب

تقتحمُ الزُّجاج. وضعتُ رسغَ يدي اليُمنى على جبهتي وفتحتُ النافذة بيدي اليُسرى. قُبرةٌ تُزقزقُ على أسلاكِ الكَهرباء وغيمٌ متبسمٌ غارق في التُركواز يَسبَحُ في الأفق أنساني الكابوسَ والليلةَ كُلها والأرق.

الرّصاصة

في عِزِّ جفاءٍ كالوميضِ تَلمعينْ

مِن ثغرِ حِقدٍ تنطلقينْ

إلى الضحيةِ عمياءَ القلبْ تَسيرينْ

كَم صَدَّقَكِ ضعيفٌ

وكَم صادَقَكِ طاغٍ

وأنت كُلُّ ما فيكِ نفاقٌ

في أوجِ صِدقكِ تَكذِبينْ

الرحمة في صِفاتِكِ عَدمٌ

والعَدَمُ في غَدركِ يَقينْ

تُزهقينَ الأحلام

وتَحرقينَ السنينْ

تَعشقينَ الدماء

بينَ طفلٍ وكَهلٍ لا تُفَرقينْ

صوتُكِ انفجارُ اللحظةَ

وأنتِ بينَ أمواجِ الصدى والهدف تَتَلوينْ

لا تعلمين شيئاً عن سرِّهِ

لا تعلمينَ شيئاً عن عُمرِهِ

لا تعلمين كم تَعِبَ وكم تعرَّقَ

كم كانَ فرحاً وكم كانَ حزيناً

لا تعلمينَ ماضيهِ

أسى مآقيهِ

آتِيَهُ وما كُتِبَ على الجبينْ

لا تعلمينْ

فَبِأيِّ ذنبٍ تقتلينْ

فبأيِّ ذنبٍ تقتلينْ

الرّصاصةُ ليست هي

الرّصاصةُ نحنُ وقد تجردنا

من كُلِّ إنسانيةٍ ودينْ

هي إصبَعُنا على الزّنادِ

في لحظةٍ نكونُ فيها ميّتينْ

هي نحنُ

إلى متى سيبقى الإنسانُ

في زنزانةِ نفسهِ سجيناً

في عِزِّ جفاءٍ كالوميضِ تَلمعينْ

مِن ثغرِ حِقدٍ تنطلقينْ

إلى الضحيّةِ عمياءَ القلبْ تَسيرينْ

رِثاءُ اليَرموك

كَم كُنتَ جميلاً فينا وكَم كُنا جَميلين فيكْ
أنا بائِعُ الخُضارِ أصلي من جِبالِ النار
مِن نَبض أسواقِكَ وحَواريكْ
جِئتُ لأسكُبَ المُرَّ في جُرن الليالي
جالساً على بقايا أطلالي
أندُبُ الأيامَ وأرثيكْ

كم كُنتَ جميلاً فينا وكَم كُنا جَميلين فيكْ
جِداريةٌ تَروي الحِكايات
عَبَقُ النّخوةِ يتَرقرَقُ من نَبضِ النّسمات
أحلامُ عودةٍ تَرِفُّ على الشُّرفات

نَبعُ شَغفٍ وحَياة

فلسطينُ هُنا والقَلب مرآةُ الذكريات

شيوخٌ تتحدثُ باسْمِ الزيتون

دموعٌ بلونِ الزّيت تنسابُ من العُيون

ضجيجٌ يَعلو المسامع

ماضٍ يُعانِقُ جُرحَ المُضارع

يَمسحُ الأسى عن قارعةِ الشوارع

هُناكَ حيثُ بريق الأمل

تحت شلال الدفء حُبنا للوطن اغتسل

لن يُنصفكَ بوحي ولن يوفيكْ

كَم كُنتَ جميلاً فينا وكَم كُنا جَميلين فيكْ

والآن آآهٍ من الآن

ونَعيقُ الغُربان سيّدُ المكان

الخَرابُ الخَراب، السرابُ السراب

أينَ مني الأحلام؟! أين مني الأيام؟!

أينَ مني أنا؟! أينَ مني هُنا؟!

أينَ مني الهواءُ والأشياءُ؟!

أنا الإيماءُ والهباءُ والرِّثاءُ

والدماءُ والأشلاءُ والعراءُ

جالساً على جُرحي السرمديّ

لحنَ وجعٍ أُغنّيكْ

كَم كُنتَ جميلاً فينا وكَم كُنا جَميلين فيكْ

لا أعلمُ من أينَ أتاكَ

يا أيُها الإسمنت سلم لي على هُناكَ

الغُربةُ: وحشُ الوحشةِ الكاسر

الليّل: تَكدُّسُ الآهات في جوفِ الزمانِ الغابر

الرياح: نِصالُ العلقم في جسدي

الصبر :أكذوبةٌ حَدثني عنها جَدي

النفاق: لعبةُ الوقت الراهن

الدين: قناع تُجار الرقيق الواهن

الدم: هو مشروبٌ عربي يُصَدرهُ الخليج للمجتمع الغربي

أنا: أنا الأزلُ المنفيُّ

أنا العربيُّ السُّنيُّ الشيعيُّ الدُّرزيُّ العلوِّيُّ المسيحِيُّ

العَربيُّ العَربيُّ العَربيُّ

أُناجي نَفسي وأناجيكْ

أرثي أنايَ وأرثيكْ

كَم كُنتَ جميلاً فينا وكَم كُنا جَميلين فيكْ.

سُفُنُ "اللّوازح"

سُفُنُ "اللّوازِح" مِن مَوتٍ إلى موتِ
لقد قضى الردى أوسانهُ
فخُذي أجسادهم يا حياةُ
حَيثُ شئتِ
سفينةٌ في عَرضِ البحرْ
بَحرُ العَدَمِ واسِعْ
خواءٌ يَدلُقُ بردهُ
بَردُ النُّزوحِ لاسِعْ
جُرحُ الحاضِرِ مهراقُ
الأيامُ انشِقاقُ
عُبابٌ يقذِفُ الأحلامْ

والأجسادُ التِصاقُ

جوعٌ يَعزِفُ لحنَ الأمعاء الخاوية

طفلةٌ تقولُ لوالدها أنا جائعة

يَرُدُّ بخزيٍ وأسى

والرجفةُ في شفتيهِ ضائعة

هلَ شَربتِ "يا بنتي"؟

سُفُنُ "اللوازِح" مِن مَوتٍ إلى موتِ

لقد قضى الردى أوسانهُ

فخُذي أجسادهم يا حياةُ

حَيثُ شئتِ

مرارُ الرحيلْ

وهذا اللّيل الطويلْ

دموعٌ سوداءْ

على خدِّ امرأةٍ تَسيلْ

كُلما قال الوجعِ كفى

قال القدرْ :قليلْ

يا أيُّها الحُزنُ المقيمُ أدمنتُكَ

فَصرتُ أستغربُ أمري

إذ أتى يومٌ ولم تأتِ

سُفُنُ "اللوازِح" مِن مَوتٍ إلى موتِ

لقد قضى الردى أوسانهُ

فخُذي أجسادهم يا حياةُ

حَيثُ شئتِ

سماءٌ تَنطَبَقْ

وما بينَ القاعِ والسَطحِ

أحلامٌ تَختَنِقْ

أصواتٌ تَنفجرْ

إرادةٌ تَنكَسِرْ

أرواحٌ تمشي على الماءِ كما المسيحْ

حقائبُ قديمةٌ تناثرتْ

صيحاتٌ تطايرتْ

أجسادٌ قاومت/ تعلقتْ/ تشبثتْ/ حاولتْ/ غرقتْ

صمتتْ/ وماتتْ

قمرٌ يبكي من علٍ

يَشهَدُ فَتقَ الوقتِ

سُفُنُ "اللوازِح" مِن مَوتٍ إلى موتِ

لقد قضى الردى أوسانهُ

فخُذي أجسادهم يا حياةُ

حَيثُ شئتِ.

لَمْلِمي دِمَشقُ
خُصلاتِ شَعرِكِ المَشاعْ

تَقاسَموكِ أولادُ السَّراري ونامَ أطفالُكِ على أطْوادِ القَهرِ
جِياعْ
لَـمْلِمي دِمَشقُ خُصلاتِ شَعرِكِ المَشاعْ
فَلَم يَتبَقّ لَكِ غَيرَهُ نائِماً على ظَهرِ الأسى يَعُدُّ القُبورَ ويُفَتِّشُ
عَنها بينَ حُقولِ العُشبِ واليَراعْ

لَـمْلِمي دِمَشقُ خُصلاتِ شَعرِكِ المَشاعْ
يا بَياضَ الياسَمين قد باتَ ياسَمينُكِ أحمراً يَشْربُ من وَجَعِ
الحاضِر مِن رَصيف التَّشَتُّتِ والضَّياعْ
رُحماكَ يا ألَمُ إذا كانَ دَمُ الأبرِياءِ يُشترى فَمَن؟ مَن الّذي باعْ؟!

لَـمْلِمي دِمَشقُ خُصلاتِ شَعرِكِ المَشاعْ
تَقاسَموكِ أولادُ السَّراري ونامَ أطفالُكِ على أطْوادِ القَهرِ
جِياعْ.

لا شيء .. لا شيء

لا شيءَ فوقَ الحُزنِ المقيمِ على ضفافِ
النّيلِ وبَردى
كُلما عَصَفَ المَوتُ في غُبارِ الحياةِ
ازداَد المُتَشرذمونَ عَددا
ما بِنا نَستحَقُ أنفُسنا
ونَقتُلُ الشَّيخَ والولدا
يا أُمةَ العارِ والدّمارِ والقَهرِ
هل سينتهي بنا المَطافُ على على خليجِ الرمادِ زَبَدا؟!

لا شيء
نحنُ اللاشيء في فراغهِ الكونيّ

نحنُ التّفَرُقُ والتّعَصُبُ وهَرطقاتُ الماضي المنسيّ
أسفي على أسفي وأسَفُ أسفي على أسفي أنا العربيّ

لا شيّء
قنوطٌ ويباب
هاويةٌ تَطرُقُ الأبواب
قُندُسٌ أمريكيٌّ يقرُطُ من جهةٍ
وقندُسٌ روسيٌّ يقرطُ من جهةٍ
ونحنُ ما بينَ بينَ كومةٌ من الأخشاب

لا شيء.. لا شيءَ
عندي سِوى الحُزنِ والبُكاء
قُبيلَ تِلفازِ النّفاقِ والرياء
إما أن أكونَ مع هؤلاء أو
أكونَ مع هؤلاء

عُتباكَ يا أزرقَ السماء

كيفَ ينتهي فيكَ الشيءُ والأشياء

كيفَ عانَقتَ سربَ أطفالٍ صعدوا

إلى مُنتهاكَ على جناحٍ من غمامٍ وغناء

أفضى بنا اللاشيءُ أن نكونَ أمواتاً أحياء

نَحنُ الكلامَ والإعدامَ والانقسامَ والظلامَ أبَداااا

لا شيء.. لاشيء

لاشيءَ فوقَ الحُزنِ المقيمِ على ضفافِ

النّيلِ وبَردى

كُلما عَصَفَ المَوتُ في غُبارِ الحياةِ

ازدادَ المُتَشرذمونَ عَددا.

مِن قَلب "الزّعتري"

يَبتَلعون ريقَ الكرامة في حَلق الزّمان المُلتَهب
هُناكَ في شمال شَرق الصمت المُدَثر على جَوَى الوَحل
خَلفَ صَقيعِ الجبال خيامُ النازحين تَبعثرت..
نَزَحوا عن مرابع الصِبا من موت قد يأتي من قَذيفة طائرةٍ أو مَدفع
إلى برد قارس يُطفئ شَغَفَ الحياةِ ويطفئ حياةَ الضعيف أو الجريح فيهُم لِيموتوا في منفى النفس أو الأرض..
مِن قلب الزعتري تَعالت أصواتُ أطفال حُفاة يَخوضونَ مُستَنقعات الوحل التي حفرها جنون المطر، خِيامٌ هشة في مَهبِ زَمهرير الشتاء شتاءُ هذا العام غير المُنصف!..
رِجالٌ من أصحابِ الضمير الحي لا تَزالُ الإنسانية تَنبُعُ

كالكَوثر الزلال

ذَهبوا بحملة معوناتٍ ومَعنَوِيات إلى هُناك..

إيمانُهم والصّبرُ والإقدامُ يُعَبدُ طَريقهم نحو كَسر صمتٍ كتّفتهُ

الأغلال..

يَدخلونَ المكان/ يَصرُخُ بِداخلهم ذاكَ الإنسان/ تتشظى القلوبُ ويَتَلَعثمُ اللسان..

اغرورقت عيناهُ وأجهش ثمّ ابتعد وهو يَقولُ في نفسهِ:

أنا العاجِزُ الضعيف بَعد أن سمع أحاديثَ الطفل..

يَقولُ الطفلُ:

هَربنا مَشينا في العراء ثلاثة أيام حتى أفرغَ البردُ ذاتهُ على أجسادنا الهَزِيلة، يَقولُ:

قَصفونا سَقَطَ الكثير من القتلى حولنا

باعوا أحلامنا، دَمروا أيامنا، أجهضوا واقعنا..

وأنا أقولُ في سري:

نعم يا صغيري، وقلمي يرتَعش في يدي، قد باعوا أحلامكَ في سوقِ نخاستهم الوَطنية..

تَقدمت الفتاةُ الصغيرة نحو زوجة الرجل وقالت:

أنتم من أحضر كُرسي العجلات إلى جدتي العاجزة أليسَ كذلك؟!

أنينُ النايات يتَفجر في براءة صوتها الحزينْ

آهاتٌ تَرِفُّ على شُرفة السنينْ

وجَعٌ يُرعدُ في حنايا الروح يَنقضُّ على فرحٍ سَكينْ

فَرَحٌ سكين في كُرسي العجلات وآهات تَرفُّ عندما لمعَ وميضُ الذكريات..

تَذكرت والديها اللذينِ ماتا موتاً شامخاً شريف

في آخر قصفٍ على بيوت ذاكَ الريف.

فلسطينُ اقبضي على الحُلم

أنا قادِمٌ لأقتسم ضِغثهُ في حَضرة جُرحِكِ المُقاوم
ها هو نَسيمُ الغَربِ يَروي أحاديثَ حُسنكِ ويتَجلى برود‌اً
ألم يَخجل من لَهيبِ عِشقكْ؟
هل الرُّمانُ الشرابيُّ لا يزالُ أحمراً على دُشداشةِ جمالكِ الأزليّ؟
هل لا يزالُ النّرجس يسبحُ في فضاء إكليل عُرسك الأبيض؟
هل حبةُ التين لا تزالُ تَقطُرُ سُكراً من ثغور الهوى في حُبك؟
هل المريميةُ لا تزالُ تحجزُ حِصتها الخضراء في عينيكِ
الجبليتين؟
أنا قادمٌ يا حُبي السرمديّ/ وشغفي الشهيّ/ وعطري
السُّكريّ
أنا قادم يا أُماً تَنتَشي حَناناً وتَحناناً إلى حضنِ أولادِها

يحضنُ حضنَها البهيّ

فلسطينُ اقبضي على الحُلم أنا قادم

تَم الشوق في صباح هذا اليوم ولَدكِ.

مَنْ أنتَ؟!

أنا آخرُ مَن نَجا من الأخدود

أيُ أخدود؟!

أخدودُ اللّهب والقَهرِ والسُّكوت

أنا الحُرُّ

والحُرُّ لا يموت

ما أنتَ إلا عصفورٌ في القَفَصْ

بل أنا مجرى النَّفَسْ

وأنا هَواكَ لا أراكَ

لا أراكَ

أنا حادي العيس

أُغني جُرحَ الحياةِ

أُغني شموخَ المماتِ

أجلِسُ على الضفة الغربية من روحي

يَعزِفُ سَعفُ النَخيل لحنَ جُموحي

ثمانٍ وأربعون شوكةً في حَشاكَ

بحرُ شتاتٍ يَندَلِقُ

ينقَضُ

يحرقُ أكاذيبَ حكاياكَ

نَزَقُ ذكرياتٍ يَعصفُ في مرمى عينيكَ

حقدٌ ينُزُّ من ثقوب الماضي

يُضرِمُ غِلي في سَماكَ

لا أراكَ

أنا الحُزنُ المُتَبسمُ

أنا المُتَشَرذِمُ

أنا الصامت الذي سيتَكَلّمُ

أحرَقتَني وبُعِثتُ من رمادي

لأنّ الحُلُمَ فِيَّ يَحلُمُ

عن أرضي

وعن عرضي

وعن جسدي

وعن وَعدي

وعن وَلدي

وعن الماضي

وعن الآتي

تَبّت يَداكَ!

لا أراكَ.

من يَوميات مُسِنّ في الداخل

اثنتا عشرة خطوة

بَينَهُ وبَينُها كيلو مترٍ واحد

بينَ العَودةَ واللاعَودة...

شِعارات/ قصائد/ أقوال/ لا أفعال

تَوَعُّد/ حلم/ شوق/ حسرة/ كَبت/ ذكريات/ أُمنيات/ خيط

أمل/ رضوخ/ واقع/ مرار/ أيام / أشهر/ سَنوات/ وعُمرٌ

مَضى.

يَجلِسُ القُرفُصاء على أريكة السنين

يقَلبُ صَفَحات التّلفاز بمنتهى الرتابة

لقد كَفَرت عيناهُ بِدَمِ المسفوكِ هباءً على أرصفة الدُول

المُجاورة

لقد جَفَّت مدامعِهُ وضميرهُ دونَ أن يُدرك!!

تَشتَعِلُ نيرانُ الأشواق من تحتهِ

نيرانُ خلودِ الذكريات في خُلدهِ الأخضر!

يَنهَضُ يُبَدِلُ ثيابهُ

يَضَعُ الكوفيةَ البَيضاء على رأسهِ يَشُدُّ العقالَ عليها ويشُدُ عزيمَتَهُ

يَركب سَيارتهُ القديمة ويَمضي نزولاً

يُبصِرُ أيكةَ الصنوبر من بعيد

يزدادُ تَلَهُفهُ

يَقتَرِبُ أكثر

يَصِلُ يركن سيارتهُ على طَرفِ الشارع

يَقتَرِبُ منها يَستَنشق هَواها يَشهَقُ يَزفرُ

يُلقي نظرةً مُتشائلةً عَليها

لا تَزالُ أوراقُ التينِ خضراء كما عَهدها

لا يزالُ الرمان يتَشقَقُ في ميعادهِ السّنَوي

نَباتاتُ الصبار لا زالت مبعثرةً بمنتهى العشوائية على سناسل حجارتها

تَهُبّ رياح قوية في المكان تُوقع الكوفية أرضاً

يلتقطها عن الأرض

تَليها ريحٌ أخفُ وطئاً تتحرشُ ببياضِ شعرهِ الذي لم يسقط رغم أنهُ تجاوز السبعين

كأنهُ بقية شاهدة على عمرهِ

يتجهُ نحوَ النبع يمشي اثنتي عشرة خطوة

في كُلّ خطوة كان يصغرُ خمس سنين حتى انتهت به الخطوات طفلاً!!

إلى أن ينظر إلى الماء ويرى قسمات وجهه تَشِعُّ كآبةً وأسى

يسمعُ وقعَ أقدام آتية من الخلف

يرى في الماء هيئة شخص قادم

لا يهتم!

بنبرة حادة يقول الشخص الغريب:

ماذا تفعل هنا يا هذا؟ هذه محمية طبيعية انصرف من هنا!!

لا ينظرُ إليه..

يملأ راحتيهِ بماء النبع يغسل وجههُ ويشرب

يرجعُ إلى سيارتِهِ يُلقي نظرة أخيرة على المكان ونظرة حاقدة

على الرجُل ويغادر.. يمضي صعوداً إلى بيتِهِ...

يَلمَعُ وميضُ الطفولةِ اختلطت السنينُ بعضها ببعض

يتذكر أختهُ فاطمة التي ماتت قبل أن تعيش

يتذكر أمهُ والمفتاح الذي غطاه الصدأ وهو في صدرها

يتذكر أباهُ الذي مات قهراً بعد زيارة من هذا النوع

تحمرُ عيناه وتنسابُ دمعةٌ مُرة تستقر على طرف عينهِ اليُمنى!

أغنيةُ يا مِصر

يا مِصرْ...
لا تأويلَ لأضغاث الأحلام
بين سوادِ ليلٍ ونورِ فَجرْ
أحلامٌ نامت على ضِفافِ النيلِ
عَطْشاً تتنَفَسُ القَهرْ

يا مِصرْ
لا وَقْبٌ يحكُمُ شعبَ الجبارين
لا مُتَعصبٌ يَقتُلُ الأمل باسْمِ الدين
شَعبُكِ ينقُشُ اسمك في الهواء
ويُكللهُ ورداً على الجبين

لأجلِ ذَرّةِ تُرابٍ يَرخَصُ لكِ العُمرْ

يا مِصرْ
يا أُمَ الدّنيا ويا أُمَ العربْ
يا كوكباً يتجلى في فضاءِ التّعبْ
يا بلسماً يُطَبِبُ جُرحَ النّفسِ
يمورُ في لاعجِ الغَضَبْ
يُزَركِشُ المُرَّ بضحكةٍ سرمديةٍ
وطَنُها الصّبرْ

يا مِصرْ
فَرَحُكِ آتٍ لا ريبَ فيهْ
أراهُ يتَدلى من أفقِ الحَقّ
أسمَعهُ لحناً شَعبُكِ يغنّيهْ
ثلاثةٌ تليقُ بكِ

الفرح، الشموخُ، والنّصرْ

يا مِصرْ

أنتِ دُرَّةُ الشرق وأنت المحارة

أنتِ تاريخُ الأُمةِ وأنتِ الحضارة

أنت ربيعٌ دائِمُ النَّضارة

أنت شمسٌ تَحرِقُ الرّجَس تَبعَثُ الطهارة

تلألئي، فوحي، أشرقي

أنت القِدى والرضا

أنت إرزيزُ الفَخرْ

يا مِصرْ

فلا تتلعثمي لأنهُ

لا تأويلَ لأضغاث الأحلام

بين سوادِ ليلٍ ونورِ فَجرْ

أحلامٌ نامت على ضِفافِ النيلِ

عَطْشاً تتنَفّسُ القَهرْ

يا مصرْ

يا مصرْ.

عامِل النّظافة الزّنجي

كانَ قَيظُ الظهيرةِ لاسِعاً
وكانَ هوَ من تَحتِهِ يَكنُسُ شارِعَ الغُربةِ
المؤدي إلى حي الوَحدةِ
كانَ يكنسُ وابتسامةٌ خَضراء نابتةٌ على ثَغرِهِ
تُكابرُ على ألمٍ سَكَن جَوانِحَهُ التّعِبَةَ
عَطشٌ يَسري في حَلقهِ الجاف
يُكابرُ على نفسه ويقول:
لا بأس في بلادي كُنتُ أعطَشُ أكثر
جوعٌ يَدوي في مَعِدَتهِ الخاويةِ
لا بأس في بلادي كُنتُ أجوعُ أكثر
خيطُ حَنينٍ لَمَعَ في سَريرتهِ

كَسَرَ البِلورَ في عَينيهِ

ليَمضغَ القُنوطُ بَقايا حُلمِهِ

تَقعُ المكنسةُ من يَدِهِ

يَجلِسُ على حافة الرصيف

يَرتَشِفُ الغياب من الغياب

يَعتَصر الأشواقَ في جَوفِهِ

ويَستَرجع الذكرى...

يَمُرُّ المسؤول عنهُ يَراهُ جالِساً

يصرُخُ من نافذةِ السيارةِ:

قم وأكمل عمَلك يا بوم الشّؤم!!

يمسَحُ دُموعَهُ بِكِلتا يَديه المُتّسِخةِ

ويُكمِلُ عَمَلَهُ مُطأطئ الرأس.

جلالةُ طِفلِ كمبوديا

الأيامُ في ثغرهِ علقمْ
يَمضغُ عناكِبَ الوقت ويَتبسّمْ
هو ابنُ الأشجار
والضوء والنَّهار
هو داءُ الرّجولة في الطفولة
هو البلسَمْ
ولا زالَ يتبسّمْ
رماديُّ الطّلّةِ ضبابيُّ الجوهرْ
جَمعَ أحزانَهُ الأزليّة وأخذ يلعبْ
يَجُرُّ الدُّنيا على ظهرهِ لا يتعبْ
الغابةُ تعلَمُ كَعبَ رجلهِ

أوراقُ الخريف تَحِنُّ إلى وطئهِ

الليّلُ والتُّراب تكَدّسا في عينهِ

اتّخذَ من الأعشابِ وسادةً لِحلمِهِ وحُلمِهِ

مالَ قُرصُ الشمسِ على صُلدِ جسدهِ غفا

اهتَزّ اليَراعُ/ امتَزَجَ خريرُ النّهر

بشقشقةِ الطيور عمَ الدفء

احتضنَ ظلَّهُ السماويّ

تَلحّفَ نسيمهُ الاستوائيّ

وسافَرَ نحوَ خيالهِ المعنويّ

كانَ ينتَعلُ حِذاءً من غمامْ

كانَ يركُضُ بينَ حقولِ الموسيقى

يقطُفُ الأغاني يتماهى بين زرقةِ الأيام

إلى أن اهتزتِ الأرضُ

وقعَ الوردُ

عَمَّ الصياح

زعَقَ البردُ

فارقت أجفانهُ

لا يزالُ مكانهُ

ولا يزالُ مكانهُ

يَحلُمُ ويَتبسّمْ

والأيامُ في ثغرِهِ علقمْ.

طفولة

هيَ ذكرياتٌ خَجولة
كُلما لاحت بِذهني فاحَ عبق الطُّفولة
أمنِياتٌ بِنكهةِ الفانيل!
أحلام بسيطة بنكهةِ الشوكولاطةِ!
وعِلاقة حبٍّ مع الطائرة الورقية!
شَمسُ الصباح تشحَنُ الأملَ فينا
وكأسُ حليبٍ بالعسل بِعَونِ مَفاهيمنا يُقَوينا ويُغذينا
من الأمراض يحمينا
رائِحةُ أقلام الرّصاص في الحَقيبة ممزوجةٌ برائحة شَطيرةِ
الزعتر
مُختَصرةٌ فرنَ الحَطَبِ وأريجَ بلادي على الدّفتر

نَشيدُ الصباحِ بِنَبرةٍ غائبة

وحَنينٌ إلى البَيت يبدأ قَبلَ وصولنا إلى المَدرسة

قَلمٌ، كِتابٌ، ومَسطَرة أمامي على الطاوِلةَ

عَينايَ في الكِتابِ وفِكري سارحٌ أفَكرُ في الدَرّاجةِ الهَوائيةِ

صَرخت المعلمةَ: انتباه!!!

كنتُ أسيرُ على طَرفِ الحُلم

سماءٌ صافيةٌ تركوازيةُ اللون

رَبوةٌ خضراء نبعٌ يجري من تَحتِها

وأنا أسيرُ بدَراجتي بمحاذاةِ حقول الخَسِّ والحُمص

صرخت المعلمةُ بصوت أعلى: انتباه!!!!!

عندَها جَفَلَ الحُلم وسَقطتُ أنا ولهفتي على أرض الواقع

ونفَجر صوت الجَرس في المكان معلناً نهاية الحِصة الأولى..

هيَ ذكرَيات خَجولةٌ كُلما لاحت بذهني فاحَ عبق الطفولةِ.

استبطان

على بابِ الرحيلِ أزهَقتُ خيالاتي
كل شيءٍ هُنا يَعُجّ بالمُعاناةِ
سيوفٌ بسمِ الغيابِ قد شُحِذتْ
موازينُ الذكرى لنسيانٍ قد رجَحَتْ
بقايا أحلام بنارِ الفُراقِ قد حُرقَتْ
أوهامٌ مِن رمادِ المكانِ بُعِثَتْ
إلى مسقَطِ رأسِها رجَعَتْ
ما هذهِ الأشياءْ؟
لِمَن هذِهِ الدِماءْ؟
هَل أمطَرتها السّماءْ؟
هل نَزّها الخواءْ؟

هل أجهَضها الماءْ؟

صوتٌ رخيمٌ يَتَدلى

على جُزُرِ الغُروبِ

بين الغمامِ الأحمَرِ يتجلى

يَلُفّ لفةً حولَ نفسِهِ ويَميلْ

يُوجهُ إليّ نَبرتهُ الصارمة ويقولْ:

دَعَ عنكَ هذا العناءْ يا أيّها الطِفلُ الجميلْ

اجمع حقيبةَ أيامِكَ

وسافِر نحو أحلامِكَ

اجعلْ لكَ في دَربِ الصِّعابِ هَدَفْ

قلتُ لهُ: كيفَ وكُلُّ شيءٍ هُنا يوحي بالقرفْ؟

كيف ونحنُ لا نُميزُ بينَ العارِ وبينَ الشّرفْ؟

كيف وجُرحُنا مهراقٌ ومدامِعُنا تَجِفْ؟

كيفَ والأخْ يأكُلُ لحمَ أخيهُ ميتاً وعلى قبرِهِ يَعتكِفْ؟

كيف ونحنُ مخطِئونَ ومختلفونَ وكُلّ طرفٍ منّا بخطئهِ لا

يعترِفْ؟

كيف والفرقةُ الخرقاء جاثمةٌ على أيامنا ولا تنصَرِفْ؟

كيْفَ وكَيفَ وكيّفَ وعندَ أيِّ كيفٍ سأقِفْ؟

عَمَّ اللاشيء

أخذت سوسةُ الوقت تَنخرُ أخشابَ صبريْ

تتمارى في فراغٍ سحيقٍ وتقذفُ فِكريْ

إلى حيثُ لا أدريْ

طيرٌ جريحْ

يَطيرُ عَكسَ الريحْ

ريحٌ تَنكَحُ الريحْ

حَباتُ رملٍ تحُطُّ على الرملْ

تَعزِفُ الفحيحْ

تَجتاحُني يقظةٌ

تُبَدِدُ عجاجَ الحاضرْ

أينَ أنا؟!

يتَدلى الصوتُ الرخيمُ نفسُهُ

مِن فضاءٍ شاغِرْ

أنت الآدميُّ الثائِرْ

الشريفُ العاهِرْ

الخادِمُ الناهي الآمرْ

الزمانُ العابرْ

الليلُ الساهِرْ

الوحش الكاسرْ

أنتَ الضحية

شَرخُ الأبجدية

مرايا وهمية

ألغازٌ عصية

إيجابيةٌ سلبية

سلبيةٌ إيجابية

وأنا تَعبتُ من شَرحِي

فَاخلعْ عباءةَ الذئب ونَم عارياً في سرير الإنسانية

مَن أنت؟!

أغمض عينيكْ

تحرر من قيدِكَ فيكَ كاسراً للعبودية

أنا ضِدُّكَ في أناكْ

أنا الاستبطانُ والتماهي في خيالاتِكَ العبثية

اسمع نِداءَ الحياةِ

فوقَ تِلالِ الفجرِ والأُغنياتِ

ولا تَقُلْ على بابِ الرحيلِ أزهَقتُ خيالاتي

كل شيءٍ هُنا يَعجُّ بالمُعاناة

إذا صَدقتَ شُعاعَ الشمس

يشُقّ الأمل من بين الغيماتِ

فالجميلُ حتماً حتماً آتِ.

مُقتطفاتٌ بَطَعمِ النّغم

أثير...

على فَرسٍ مِن أثيرٍ وضوءٍ وأحلامْ

أتَت مِن رحمِ السماءِ بحلّةٍ من غمامْ

تَتَراقصُ وتَسكُبُ الغناءَ فوقَ جَبينِ النَّدى

تَزرعُ الوَردَ على ناصية الأيام

هناكَ حيثُ الأزرقُ الصافي

قبَضتُ على أُفُقِ الخيال فسقطَ مني الكَلامْ

***

نور...

لا غُربة تسكُنُني إذ كُنتُ مغتربا

لا عتمة تعتليني إن كُنتُ مُكتَئِبا

مصباحٌ من نورِ القلب

يُشعِلُ دَربَ الصِّعابِ حُبّا

أستَقبلُ أحزاني بابتسامةِ طفلٍ

يعشَقُ اللّهوَ واللّعِبا

أنا ابنُكَ يا أيُها التفاؤلُ

إذا أرادَ الهَمُّ كَسري تَعِبا

* * *

شُعلة...

شعلةُ الشوقِ المكنونةُ في نار الهوى

أضرمت الغياب في غياهِبِ الجوى

تُسائِلُني نفسي: هل ماتَ الرجوعُ فيك؟

أُجيبُ: بل قُتِلَ بسَيفِ النَّوى

سهمٌ من الذكريات ثقبَ الروح

استحضر ما دُفِنَ وانْطوى

ماجَ الماضي في لواعجِ القلب

لكاحِلِ الحاضِرِ لوَى

* * *

أمل...

تتَدلى عناقيدُ الأمَلِ من فضاءٍ سحيقْ

تَخوضُ يمَّ الرُّؤى وتَشُقُّ الطَّريقْ

من رَمادِ الوطن سيُبعثُ الفينيقْ

سنَجمعُ أيدينا ونَمُدُّها طوقَ نجاةٍ لشَقيقِنا الغريقْ

سَيُشرقُ الشّرق ويَتوهجُ نوراً وبَريق

سنبذُرُ النُّجومَ في صحارينا ونَحصُدُ العقيقْ

* * *

حُلم...

يا نَكهَةَ الأحلام في أشداقِ ريحانِ

يا لهفةً سرت في هالاتِ أشجاني

كُلما سمعتُ لَفظَ اسمِكِ يتَردّدُ بينَ الشِّفاهِ

نَهرٌ من التِّحنانِ والنَّغم تَفَجّرَ في شَرياني

يا نَكهَةَ الأحلام في أشداقِ ريحانِ

❊ ❊ ❊

هَرطقة...

لِمَن يُتقِنُ فَنَّ الهَرطَقَة

وزَرعَ الرياءِ حَدائقَ مُعَلّقة

ويَظُنُّ أنهُ ملكَ مفاتيحَ الحياةِ بيَدِهِ

وهو يسكُنُ الشّرنَقة

سيَمُدُ الوقتُ حِبالهُ عاجلاً أم آجِلاً

وسَتُعَلّق لأكاذيبكَ المِشنقة

في الخَلَواتِ

قُربَ ذاتي

جَلستُ يا صَبرُ وحدي

من ضِلعي

ومِن وجَعي

من حُزني ودَمعي

من ضوئي وشمعي

سالَ الهَمُّ مني

من حُسنِ ظني

وسَذاجةِ ودّي

وحدي يا صبرُ

وحدي!!

كُثبانُ الرّملِ تَشهَدُ

والغمامُ الأبيضُ

جَذري المُمتدُّ

أصلي وفَصلي الأوحدُ

كَرمي الأمجَدُ

الطَّيفُ والضيفُ

والقيظُ والحَرّ والصَّيفُ

يشهَدُ لونُ بَشرتي وخُشونةُ جِلدي

وحدي يا صبرُ

وحدي!!

من زمنِ كنعان والأجداد

من حُقبةِ تاريخ العمورين قبلَ الميلاد

نقبي جنوبي

ستري وعُيوبي

خَيمتي، خِرافي

أغنامي، أحلامي

خيلي ولَيلي

هذهِ أرضي

وأرضي عرضي

وعرضي أرضي

وأرضي أرضي

وعرضي عرضي

مُخَططكُم لن يَمُرَّ

إلا على جَسدي

مخططكم لن يَمُرَّ

إلا على جسدي

"برافر" لن يَّمُرَ

إلا على جسدي

الرّسم بالظلّ

(1)

أتَطلعُ في فلك المَعاني

أتفرسُ في النجوم القريبة والبعيدة

لا أنظرُ تحتي

لا أنظُرُ حولي

فقط أوجهُ رأسي نحو الأفق

أنسى خُطايَ وأقدامي

أقعُ في حُفرة الوشايةِ

يبتلعني غيهَبُ الإفكِ

أمورُ في باطنهِ ويقذفني عُبابُ التيهِ

إلى موئل القنوط الأصلي

نفسي تسامرُ نفسي

أحاديثٌ تترنحُ على طرف التّنَهُد

أنا!

أنا محور القصيدة

أنا صيادُ الكَلم وأنا الطريدة

أتَطلعُ في فلك المَعاني

أتفرسُ في النجوم القريبة والبعيدة.

(2)

رَبّتَ شباطُ على كتفي

أيقظ خيط الربيع الباقي في لحمي

شُباطُ يا بارد الطلة يا دافئَ الجوهر

انصهارُ الصيف يُحيني في شِتائِكَ المُعطر

يَشُقُّ وهج النورِ

من بين السحاب الرماديّ

طَريقَهُ نحو غابات الدّفلى

يتَرقرق الضوءُ على أوراقها

يَرسُمُ ظلُّها أشكالاً سريالية

ترمُزُ للخلود المُقدس في روحها النّضِرَة.

(3)

تَرمقُ السماءُ زبد البحر

يدغدغ الرملَ على شاطئ يافا

تَقفزُ وتشتعِلُ كمداً وغيظاً

تمرُّ الغازية الشقراء بمُحاذاتهِ

تُطفئ بقايا سيجارتها في جسده الهلامي الأزرق

تبتسمُ السماء وتسحبُ أذيالَ قهرها

يَعبِسُ يهدُرُ

ويرسلُ أمواجاً عنيفة

تقلبُ المكان رأساً على عقب

ولا جدوى!

وتبقى بقايا سيجارتها تطفو على سطحهِ

بمنتهى البرود.

(4)

تَواعَدنا على الصداقة الأبدية

كانت تُراسلُني بشغف المنتظر للقاء القريب

صوتها كعزف الكمنجات على القمر

احتفظْ بالصورة!!

أنت وطني الافتراضي والمعنوي

لم أعِ لما يرنو وقتها صديقتي الدمشقية

في عينها تحررت ألفُ سورية

ابتلعها خِضمّ الدم

فهمتُ لاحقاً أنها كرهت وطنها

وأحبتهُ في أملي المَعنويّ لها

وفهمتُ لاحقاً أنها كانت تُدرّبُني على فراقٍ بلا نهاية!

وفهمتُ حرصها على حفظي لصورة

فهمتُ بعد ما طارت العصافيرُ من عُشِ أحلامها وأحلامي

سكنَ اليبابُ ديارَها وسكن النوى بيني وبينها

أينَ هِيَ؟!

مساء

مساءٌ غريب الأطوار

لا يشبه الليل

ولا يشبه النهار

نجمةٌ نتأت من أفُقٍ غامق

تَبَرجت لقمر شاحب الطلة

تَعطرت بِرياح كانون البارد

يتبادلان الشهوةَ البعيدة

وعواذل الغيم تحدق بمنتهى الغضة

يرشُقانِ بعضهم بعضاً بِقُبَلٍ ضوئية

تتشظى على المدى الكُحليّ

تَدوّي اللهفة في جوف الصَّدى

ويَلمَع وَميضُ الشوق حتى الثمالة

يَقع الضوء على الغيم وينهار

هو مساءٌ غريب الأطوار

لا يشبه الليل

ولا يشبه النهار.

خريف

إحساسٌ بالخريفِ ينضَحُ

يجوبُ روحَ المكانِ

يجلسُ على شُرفةِ البَوح

عن أسرارِ حُسنِهِ لا يُفصِحُ

إناءُ جوافةٍ

يُداعِبُ أريكةً حمراء

يتمشى على السّجادِ

يُداعِبُ أُقحوانةً صفراء

نبتت في قعرِ وادٍ

يُداعبُ زهريةً بيضاء

يُداعبُ غمامةً سمراء

يداعِبُ موقدةَ الحطب

يداعِبُ حباتِ الكستناء

يتغلغلُ في ملامحِ الأشياء

في مسامِ الهواءِ يسبَحُ

يُنشِدُ لحنَ التُّرابِ

بالخريفِ يَصدَحُ

وهو جالسٌ على سطحِ

ثلاجةٍ لا يتَحركُ ولا يَبرحُ!

***

حباتُ بحرٍ على أشداقِ شُباكٍ تتلالا

كُلما لمع الضوءُ فيها

كَسرت الصوتَ والأشكالا

أوراقُ عسجدٍ تروي الحكايات

لأُمها الثرى

تروي وجع الزمانِ وأحاديثَ الورى

كُلُّ الفصولِ مرت من هُنا

برقٌ سنا

وردٌ قنا

حُبٌّ ضنا

شُعاعٌ للأيام رنا

لامسَ خدَّ السماءِ ودنا

لازلتَ أنتَ أنتَ يا خريف

ولا زلتُ أنا أنا!

ومَضات

هذا الليّلُ المسربل في الأعالي
أودعتهُ نِصفَ حُلُمٍ
وتركتُ نصفهُ الآخر جالساً
في معبد الجسَد.

* * *

هذا الفجرُ المُزغبُ بالندى
تركتُ أوتارهُ
تنسابُ على جبينِ النهار
دونَ أن أُرتّلَ أُغنيتي.

* * *

هذا الطفلُ الذي يحبو

على خيطِ نورٍ بينَ ناريّن

إنهُ الأمل.

* * *

هذهِ العتبة التي

تُزهِقُ روحَ كلَّ من وطأَ عليها

دونَ سابقِ إنذار هي الحياة.

* * *

يا أيُّها الفرح الذي تختبئ

خلفَ الحُزن تترقبُ انكساراتِنا

تَعُدُّ الخيبات واحدة تلو الأُخرى

أما آنَ الأوان لكي تخرجَ

لقد سئمنا " غُميضة " الوجع.

* * *

يا أيتُها الوسادة

هل أنتِ فعلاً وسادة

أم كتلةٌ من الذكريات والماضي؟

* * *

يا أيّها الحجرُ المُعَشِشُ فينا

ألم تألف غُربتنا بعد؟

* * *

يَحقُ لي أن أقولَ:

إنكِ حيفايَ الشخصيّة

فأنتِ جميلة، وعروس، وتسكُنين في الجليل

يَحِقُ لكِ أن تقولي:

إني ناصِريُّكِ الشخصيّ

فأنا شامخٌ، وعريس، وأسكُنُ في الجليل أيضاً.

* * *

ما أجمل الحديد عندما يكون سُلطاناً

على معادن قيلَ: إنها ثمينة.

* * *

أروع انتصارات النفس هيَ
لحظة صدقٍ عارية
تتجردُ من كُلّ ما طننتهُ ذات كبرٍ
أنهُ نفيس.

* * *

كُلما لامسَ الكُرهُ أنايَ
تماثلتُ للحُب.

* * *

كلُ قصيدةٍ كتبتُها في ليلٍ ما وأنا وحدي سأُمزقها
أيُّ مشاعرٍ تلك التي تفيضُ من عدمٍ وأنا
وأيُّ حبٍّ ذاكَ الذي يفيضُ من وجودٍ وأنتُم؟

* * *

كُلنا لك
أيُها النسيان.

* * *

بينَ الطرقِ والسراب

هُناكَ بابٌ يَشيخ.

* * *

أول حبٍّ مضى وقضى

أول الريح آخر السديم

أول نشوى الصدر

أول ملح الذكريات

أول أغنيةٍ في الظلام

أولُ إحساسٍ نطق

أولُ نجوى للفراغ

أولُ درداءٍ على ضفافِ الأبجدية

أولُ أحزان اللافندر!

الفهرست

أكتب...	5
علقت كلي	7
حدثيني يا ماريا	10
على تلك الطاولة في ذاك المقهى	15
هذيان مطر.. أنا آسف	16
شرود حزيران	18
غروب	20
وكنا كما كنا	21
أقنعة الواقع	23
رصيف أيار	28
هذيان نثر	29
ترش الأرز	31
تلألئي يا عرس الندى	33

كيف أتاها؟	34
المرأة الحياة	37
عينان	40
طقوس رقص	42
ماض سحيق يظل من نافذة الذكريات	44
نهج اللاندي	46
أبو صالح	51
النكبة	56
تناقضاتي والرجوع	61
طفل يبحث	66
أوراق وبقايا صور	68
الرصاصة	71
رثاء اليرموك	74
سفن اللوازح	78
لملمي دمشق خصلات شعرك المشاع	82
لا شيء.. لا شيء	84
من قلب الزعتري	87

فلسطين اقبضي على الحلم	90
من أنت؟	92
من يوميات مسن بالداخل	95
أغنية يا مصر	99
عامل النظافة الزنجي	103
جلالة طفل كمبوديا	105
طفولة	108
استبطان	110
مقتطفات بطعم النغم	115
في الفلوات	119
الرسم بالظل	122
مساء	127
خريف	129
ومضات	132